

(دور المرجعية الدينية في محاربة الارهاب والحفاظ على الوحدة الوطنية)

أ.م.د. عائدة محمد عبيد / جامعة الموصل / كلية الآداب

د. اكسم احمد فياض / سوريا

المقدمة:

كونت المواقف الانسانية للمرجعية الدينية ابرز مظاهر التحدي لمواجهة للإرهاب والتطرف، وهو في أوج قوته وشدة بأسه، وما يملك من مال وحشد للجند والأتباع فكانت فتوى المرجعية الدينية اكثر شمولية ببعدها الوطني والانساني، إذ ساهمت في سد الطريق امام كارثة كادت تحل بالعراق فحالت دون سقوطه، انطلاقاً من مبدأ الدفاع عن الأرض والمقدسات والدماء البريئة وحفظ العباد فالنداء الذي قصده المرجعية هو لغرض حشد المؤيدين والمتطوعين والأتباع للقتال من اجل الحق ودفاعاً عن العراق والمقدسات الدينية، ولإيضاح ما تنشده وتدعو إليه المرجعية الدينية، وما أراد السيد علي الحسين السيستاني (دام ظلّه الوارف) تحقيقه، وطبيعة النهج القادم، وأسلوب العمل بموجبه، تجلّى كل ذلك في أحاديثه وخطبه وأقواله فيما هو قادم عليه منذ اصدار الفتوى من النجف الاشرف وحتى وطأت اقدام المقاتلين المجاهدين الابطال الاراضي المحتلة من قبل الارهابيين. إذ عززت معاني الاخوة بعيداً عن الخلافات الطائفية والمذهبية، فهذا دليل على حكمة المرجعية الدينية، التي تتولى مواقفها على اسس انسانية ووطنية فقد اثبتت الفتوى بامكان العراقيين جميعاً التوحد من اجل محاربة الارهاب.

وكان لخطاب المرجعية اثره البالغ في اذكاء روح المواطنة من اجل محاربة الارهاب، وهذه الفتوى لها ارتباط وثيق بالعمق التاريخي المتمثل بواقعة الطف وبالإمام الحسين (عليه السلام)، ونهضته في وجه الظلم والفساد، فأيقضت هذه الفتوى

تجليات ومآثرات الروح الحسينية لبذل الأرواح والدماء من اجل التصدي والفاع عن مبادئ واخلاقيات الدين الاسلامي لاحقاق الحق، فما اشبه اليوم بطف الأمم.

وهذه الفتوى لها ارتباط وثيق بالعمق التاريخي المتمثل بواقعة الطف وبالإمام الحسين (عليه السلام)، ونهضته في وجه الظلم والفساد، فأيقضت هذه الفتوى تجليات ومآثرات الروح الحسينية لبذل الأرواح والدماء من اجل التصدي والفاع عن مبادئ واخلاقيات الدين الاسلامي، فما اشبه اليوم بطف الأمم. فالفتوى تهدف الى بيان مفهوم الاسس والقيم الحضارية الانسانية والرؤية المستقبلية للمرجعية الدينية، وفق مفاهيم الشريعة الاسلامية لإرساء السلام ومحاربة الارهاب.

ان تبني هذه الفئات لفكرة محاربة الاسلام قد جعلها ترتكب مجموعة من الاعمال الفاسدة التي تخالف الشريعة الإسلامية، والتي اوجبت على المرجعية الدينية ان يقف ضدها ويضع حدا لها لئلا تاخذ مجراها وبالتالي يصعب السيطرة عليها وقد تمثلت هذه الأعمال في عدة جوانب منها ما ظهر من هذه الفئات من قتل واستباحة لدماء المسلمين التي نهى عنها الدين الاسلامي في كثير من الايات القرانية كقوله تعالى : ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (١)، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (٢).

وهذا ما دفع السيد السيستاني (دام ظله) إلى العمل على ايقاف هذه الظاهرة من قتل المسلمين عملا بقوله تعالى : ﴿ إِثْمًا جَزَاءَ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُتَّقَوْا مِنَ الْأَرْضِ ... ﴾ (٣). ومن توصيات الإمام علي (عليه السلام) ما كتبه للاشتر النخعي لما ولاه على مصر إياك والدماء وسفكها بغير حلها: فانه ليس شيء أدنى لنقمة ولا

أعظم لتبعية ولا اخرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قود البدن(٤).

وكذلك أجمعت الأمة الإسلامية على تحريمه فان فعله إنسان متعمدا يباح دمه وأمره إلى الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له. يتضح لنا من هذه النصوص ان اعتداء الإنسان على غيره بغير حق حرمة الله ﷻ في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله العظيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأجمعت الأمة على هذا التحريم.

ويتجلى البعد الديني والإنساني لفتوى المرجعية في ما حققته في حفظ المبادئ الحقة للإسلام والتي حملت معها جميع ما بشر به الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) في عصر الرسالة الإسلامية أما البعد السياسي والعالمي فيقع في مصاديق ثورة التحرير التي استوعبتها أهدافها السامية في الحرية والاستشهاد من أجل الكرامة والأثر الذي تركته هذه الفتوى المباركة في الفكر المعاصر وهكذا نرى تجليات النصر على داعش الارهابي تحققت بفعل التضحيات ، فلا لافرق بين طف الامس وحرب اليوم.

ومن وصايا سماحة المرجع الديني السيد السيستاني (دام ظله) قوله: (ان الله سبحانه كما ندب الى الجهاد ودعا اليه وجعله دعامة من دعائم الدين وفضل المجاهدين على القاعدين فانه عز اسمه جعل له حدودا وأدابا أوجبها الحكمة واقتضتها الفطرة ... فمن رعاها حق رعايتها أوجب له ما قدره من فضله وسنه من بركاته ومن اخل بها احبط من اجره ولم يبلغ به امله) (٥). فقد جعل الجهاد دعامة من دعائم الدين

وهذه التعليمات هي عملا بمنهج الامام علي (عليه السلام) فهكذا كان يرى الامام علي (عليه السلام) ان الاقدام على الموت عن رغبة وحب وبلا عجز ولا ملل يجعل الفرد في رؤية يسيرة له ، ويبعده عن التردد الذي يعجز عن التقدم والبذل في المعركة، وقد عبر عن هذه الرؤية بقوله: " امشوا إلى الموت مشية سجحا (أي سهلة) " (٦)

وجعل الجهاد في هذه الحالة فرضا كفاثيا فيه حكمة بالغة ، فلو كان الجهاد في الاحوال كلها فرضا عينيا ، لتوجب أن ينفر الجميع للقتال في الاوقات كلها ، ولتوجب ايضا ترك المصالح والاعمال ، وذلك فيه نقض لمصالح الأمة (٧)

فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله (٨) . فقد جاء رجل الى رسول الله (ﷺ) يسأله عن الرجل يقاتل للمغنم ، وأخريقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال (ﷺ) : "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" (٩) وقال رسول الله (ﷺ) مرغبا في المرابطة : "عينان لا تمسهما النار ؛ عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله" (١٠) .

وقال النبي (ﷺ) : "إن هذا الانسان بنيان الله ، فملعون من هدم بنيانه" (١١) . وروى عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال : "رأيت رسول الله (ﷺ) يطوف بالكعبة ويقول : ما أطيبك وأطيب ريحك ، وما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ؛ ماله ودمه" (١٢) .

فاذا كان الاسلام قد أعطى مثل هذه الحرمة للانسان عامة فهذا يدل دلالة قاطعة على ضرورة حفظ حياة الانسان وتجنيبها كل ما قد يودي بها ؛ فإن المجاهد في سبيل الله أولى بالحرص على حفظ حياته ؛ فهذا المجاهد قوة فاعلة ومهمة في حفظ كيان الأمة ودينها ، لذا توجب الحرص على حياته وعدم التفريط بها . وهذه ولاشك

مسألة أخلاقية مهمة ، فحياة الانسان ثمينة يجدر الحفاظ عليها بكل ما أوتي المعنيون من سعة .

وعندما نقف امام تلك المشاهد لعمليات التحرير نقتبس من رحيقها النهضة الغنية بالقيم والمثل العليا والتي تعلمنا كيف نعيش احراراً وكيف نموت سعداء منتصرين لو ادركنا اهداف تلك الفتوى التي ما هي الا امتداد لواقعة الطف الخالدة والمجزرة الرهيبة التي حصلت حينها والتي ايقظت المسلمين، فالامام الحسين (عليه السلام) عبرة وعبر وكفانا ان نقف امام كلماته ونجسدها في حياتنا بقوله "أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برماً". " هيهات من الذله "، قال لابنه زين العابدين(عليه السلام): أي بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصر الا الله عز وجل، إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوما عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة.

واقعة الطف تمثل الصورة الحقيقية والتوجه الانساني المحق للسير على منهج السلوك الى الله سبحانه وتعالى، هذه الملحمة التاريخية اثرت وبشكل فطري وعفوي في وقتنا بالحالي لما لها من قيم واهداف، اليوم نحن بحاجة الى كربلاء بحاجة الى الامة القوية الامة التي تفخر بعظماها وتنهل من عمق فكرها ومواقف رجالاتها، هي كربلاء الاء هي كربلاء الكروب هي كربلاء التضحيات هي كربلاء الموقف هي كربلاء السلام والتعابش السلمي.

فالدور التاريخي الذي لعبته فتوى المرجعية الرشيدة في تعبئة الشعب لمساندة القوات المسلحة كبير فالمساندة التي حصلت عليها القوات المسلحة من الحشد الشعبي والقوات الشعبية الاخرى هي التي مكنت قواتنا المسلحة من الحصول على الفرصة لاعادة البناء والهيكلة والتعبئة في الحرب ضد داعش الارهابي وان جميع القوات

العراقية هي تحت قيادة القائد العام للقوات المسلحة. لم يكن الحشد الشعبي تطوراً مفاجئاً بعيداً عن الواقع، بقدر ما هو تعبير عن حاجة ملحة وضرورة إستراتيجية للأمن الوطني العراقي من جهة، ولحماية منهج الإسلام المعتدل من جهة ثانية.

﴿ فتوى الجهاد المقدسة وأثرها في استنهاض الهمم من اجل محاربة الارهاب:

كانت فتوى الجهاد المقدس هي السبيل الى اذكاء روح الجهاد من اجل محاربة الارهاب، فهذه الفتوى لها ارتباط وثيق بالعمق التاريخي المتمثل بواقعة الطف وبالامام الحسين (عليه السلام)، ونهضته في وجه الظلم والفساد، فأيقضت هذه الفتوى تجليات ومآثرات الروح الحسينية لبذل الأرواح والدماء من اجل التصدي والفاع عن مبادئ واخلاقيات الدين الاسلامي لاحقاق الحق، فما اشبه اليوم بطف الأممس. والجهاد فريضة إلهية فرضها الله تعالى على هذه الأمة، كما فرضها على من كان قبلها من الامم ذات الرسالات السماوية، فالجهاد والقتال في سبيل الله ورد بالصيغة نفسها التي وردت بها أركان الاسلام الاخرى، بقوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(١٣)، ثم ان الله تعالى رغب عباده المؤمنين بالجهاد وحث عليه ووعد المجاهدين في سبيله جنات عرضها السماوات والارض(١٤).

وأدلة الكتاب على فرضية الجهاد كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٥﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٧﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ وهنا جمع الله تعالى الجهاد بالمال والنفس معا وفي ذلك اعلى المراتب . وبهذا أبان

اللَّهِ تَعَالَى أَنْ حَبَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ (فَرَضَ) وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ سِوَاهُ أَحَبَّ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ (١٦) .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِنْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بَعْدَهُهُ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبَشِرُوا بْبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٧). وفي هذه الآية قال المفسرين: ما من مسلم الا ولله في عنقه بيعة، وفي بها أومات عليها (١٨). وهي بيعة على القتال في سبيله، والبيعة ملزمة لمن بايع شرعا على القدرة والاستطاعة .

ثم اشار سماحته (دام ظله) الى ان هناك حدودا وادابا للجهاد ويجب التفقه بها ومراعاتها ... و اشار الى ان من رعاها حق رعايتها سينال الدرجات والثواب، والعكس من ذلك من اخل بها فإن الله يحبط أجره .

أما أدلة فرضية الجهاد في السنة النبوية المطهرة، فأولها وفي مقدمتها أن النبي ﷺ جاهد بنفسه في غزوات عديدة، فالإقتداء بالنبي ﷺ أمر واجب شرعا لقوله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (١٩) . كما أن النبي ﷺ حث على الجهاد ورغب فيه (٢٠) . فالجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقيين. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٢١).

فهذه كلمات مضيئة في "فضل الجهاد في سبيل الله تعالى، وأسباب النصر على الأعداء"، وجهها السيد علي السيستاني (دام ظله) إلى كل مواطن قادر على حمل السلاح في عراقنا الحبيب للتطوع لإعلاء كلمة الله تعالى، والتي بين فيها

الحكمة من مشروعية الجهاد وفضله لمحاربة الارهاب والجماعات المتطرفة التي جمعت بين الجهل بدين الله وظلم الناس إذ وقف اهالي نينوى والمدن الاخرى العزل عاجزين امام تلك التطورات وامام عدو لايعرف الرحمة والشفقة ونال منهم ما نال فقد انتهك كل القيم الاخلاقية واستخدم كل انواع القتل والتنكيل والابادة والتخريب الوحشي فاباحوا دماء الناس في الموصل وعامة المناطق التي اجتاحتها نتيجة ابتداعهم وتطرفهم اذ يرون من لا يؤمن بمنهاجهم وأفكارهم خارجا عن الدين. إلا ان المرجعية الدينية لم تغفل عن تلك الجرائم فأصدرت فتوى الجهاد الكفائي وذلك لتحقيق السلام الذي اصبح اليوم ضرورة اجتماعية وثقافية وسياسية لاسيما في مجتمعات أصبحت تسودها المنازعات والتناحرات وذلك من اجل الوقوف أمام كل المخاطر التي تستهدف الأمة الإسلامية، وعليه يجب العمل بكل الوسائل لتطبيق المبادئ التي أكدت عليها المرجعية الدينية، فالجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقيين. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٢٢) فالمرجع الديني أثبت قدرة فائقة في محاربة تنظيم داعش الارهابي نيابة عن العالم، مطالباً الجميع بدعم بلاده في هذه المعركة، وهكذا لاحظنا على ارض الولقع بأنه لولا فتوى المرجعية الدينية والحشد الشعبي لسقط العراق بيد الارهاب.

وجعل الجهاد في هذه الحالة فرضاً كفايياً فيه حكمة بالغة، فلو كان الجهاد في الاحوال كلها فرضاً عينياً، لتوجب أن ينفر الجميع للقتال في الاوقات كلها، ولتوجب ايضاً ترك المصالح والاعمال، وذلك فيه نقض لمصالح الأمة (٢٣)

قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): "فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان". وفي لفظ: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه" وجاءت الفتوى لنصرة المظلومين، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا واجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا واجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (٢٤). وقال سبحانه وتعالى: ﴿فليقاتل في سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يِقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢٥). وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢٦).

فالجهد حقيقة اسلامية دعا اليها الله تعالى في كتابه الكريم ، ورغب فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وحرص المؤمنين على القتال . وعده طاعة من أعظم الطاعات ، وقربة من أفضل القربات . وان تركه واهماله فيه مذلة ومهانة ، وان التولي يوم الزحف من أكبر الذنوب والمعاصي .

وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني" (٢٧) فلبى ابطالنا الغياري نداء المرجعية وامتثلوا لاوامرها للدفاع عن الارض والعرض والمقدسات. وقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : "جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم وأموالكم" (٢٨) والجهاد باللسان له مظهران ، جهاد بالتحريض على

القتال والحث عليه ثم جهاد بالدعوة والتبليغ واقامة الحجّة على الكافرين والمنافقين ومن سواهم(٢٩). وهذا ما طبقتة المرجعية الدينية على ارض الواقع.

بينت المرجعية الدينية في فتواها الحكمة من مشروعية الجهاد وفضله لمحاربة الارهاب والجماعات المتطرفة التي جمعت بين الجهل بدين الله وظلم الناس إذ وقف اهالي نينوى والمدن الاخرى العزل عاجزين امام تلك التطورات وامام عدو لايعرف الرحمة والشفقة ونال منهم ما نال فقد انتهك كل القيم الاخلاقية واستخدم كل انواع القتل والتنكيل والابادة والتخريب الوحشي فاباحوا دماء الناس نتيجة ابتداعهم وتطرفهم اذ يرون من لا يؤمن بمنهاجهم وأفكارهم خارجا عن الدين. وحرّم الإسلام القتل وعاقب عليه وجعل الاعتداء على حياة الإنسان وإزهاق روحه بمثابة العدوان على الله ﷻ، وعده تحديا سافرا لإرادة الله ومشيئته. ومن وصايا السيد السيستاني التي تندرج ضمن هذه المعاني قوله (واعلموا إن من شهد الشهادتين كان مسلما، يعصم دمه وماله....)(٣٠)

والمرجعية الدينية لم تغفل عن تلك الجرائم الارهابية فأصدرت فتوى الجهاد الكفائي وذلك لتحقيق السلام فالجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقين. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نُفِرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٣١)

فقد ساهمت فتوى الجهاد في سد الطريق امام كارثة كادت تحل بالعراق فعالت دون سقوطه، فأوقفت ذلك التقدم الذي وصل الى مشارف بغداد. فكانت الفتوى اكثر شمولية ببعدها الوطني والانساني والمستوحى من الادب الحسيني، إذ عززت معاني الاخوة بعيدا عن الخلافات الطائفية والمذهبية ، فهذا دليل على حكمة

السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) الذي يتولى مواقفه على اسس انسانية ووطنية فقد اثبتت الفتوى بامكان العراقيين جميعا التوحد من اجل محاربة الارهاب. انطلاقا من مبدأ الدفاع عن الأرض والمقدسات والدماء البريئة وحفظ العباد.

في هذا الإطار تتمحور التقييمات المنهجية لدى المرجعية الدينية بمقارنة الاهداف التي يتوقع ان تحققها عمليات الجهاد لتحقيق الرسالة التي من اجلها اصدرت الفتوى والاطلاع على خطط وأساليب القتال التي ستتبع في قواطع العمليات لاعداد جيل من المقاتلين يتملكون روح التسامح وسعة الافق ورجاحة التفكير ليسهموا في الوصول إلى الفكرة المطلوبة من فتوى المرجعية ومن ثم تطبيقها على أرض الواقع، ولمعرفة مدى كفايتها لتحقيق المحصلة المتوقعة من اجل بناء السلام والقضاء على الارهاب منهاجا وتطبيقا. ويتجلى البعد الديني والإنساني للفتوى في ما حققته في حفظ المبادئ الحقّة للإسلام والتي حملت معها جميع ما بشر به الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) في عصر الرسالة الإسلامية أما البعد السياسي والعالمي فيقع في مصاديق الفتوى التي استوعبتها أهدافها السامية في الحرية والاستشهاد من أجل الكرامة والأثر الذي تركته هذه الفتوى المباركة في الفكر المعاصر، كانت نتيجتها تحقيق النصر على ارض الواقع.

فالفتوى تهدف الى بيان مفهوم الاسس والقيم الحضارية الانسانية والرؤية المستقبلية للمرجعية الدينية وفق مفاهيم الشريعة الاسلامية لإرساء السلام ومحاربة الارهاب، وهذا ما تمخض عن السيد السيستاني في سياسته العامة التي رسمت المعالم الأساسية للسلام والتعايش السلمي والتي كانت شاملة لكل مناحي الحياة وجوانبها فقد كان السلام هدفاً اسماً لدعوة المرجعية لمحاربة الارهاب، فهو الحالة الطبيعية التي يمكن للناس فيها ان يؤدوا رسالتهم في الارض، ويتمكنوا من إعمارها واقامة الخير

والاصلاح فيها، وذلك لايتأتى مالم تتحقق مفاهيم الوحدة والسلام والقضاء على الارهاب

فالنداء الذي قصده المرجعية هو لغرض حشد المتطوعين والأتباع للقتال من اجل الحق ودفاعا عن العراق والمقدسات الدينية، ولإيضاح ما تنشده وتدعو إليه المرجعية الدينية، وذلك ليتناسب مع خلود واقعة الطف التي كان تخطيطها الهيا فكان الطريق الذي سلكته سجلا حافلا بكل مضامين الجهاد واتجاهاته، وما أراد السيد علي الحسين السيستاني (دام ظله) تحقيقه، وطبيعة النهج القادم، وأسلوب العمل بموجبه، وتجلى كل ذلك في أحاديثه وخطبه وأقواله فيما هو قادم عليه منذ اصدار الفتوى من النجف الاشرف وحتى وطأت اقدام المقاتلين المجاهدين الابطال الاراضي المحتلة من قبل الارهابيين. وهذا ما يذكرنا بالركب الحسيني الذي خرج من المدينة المنورة باتجاه العراق لاحقاق الحق، وجبهة الحق دائما منتصرة، ودائما في علو، لأن الله ناصرها . وان أنصار الحق فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى كما جاء بقوله تعالى: ﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ (٣٢) فكانت لهم الشهادة خاتمة والجنة مؤثلا.

ان البذل والتضحية والسخاء عطاء ، ولكن الشهادة في سبيل الله والحق أسمى العطاء. هذه الجبهة المؤمنة رجلا سمت بهم الهمم العالية إلى اقتحام الأهوال وهانت عليهم المخاطر بالنفس في سبيل حياة المجد والعزة والكرامة، فاستحسنوا التضحية بأنفس الأشياء وأغلاها عندهم وأجلها قدرا وأعلاها.

وضمت وصايا المرجعية بين فقراتها التذكير بحروب الرسول (صلى الله عليه وآله) ضد الكفار والمشركين ، وحروب أمير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) وأخلاقياته في القتال ، وقد حث المرجع الديني على الالتزام بنفس الاخلاقيات، فلما

استجاب المتطوعين لنداء المرجعية، كان لابد للمرجعية من اصدار توجيهات وتعليمات للإلتزام بها أثناء عمليات التحرير.

وجاء في الخطبة التي القاها الشيخ الكربلائي قوله (وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها واسنادها لكم يا ابناءنا في القوات المسلحة تحثكم على التحلي بالشجاعة والبرسالة والثبات والصبر) (٣٣) تأسيا بما كان يوصي به الامام الحسين (عليه السلام) فقد كان الامام الحسين (عليه السلام) يعمل على رفع الروح المعنوية من خلال الحث على الصبر في مواطن البأس والثبات في قتال الاعداء

فكان موكب الشهادة يستحث الخطى إلى الجنة يعبد طريقها بالتضحيات ويرصفها بالأرواح ويبلل ثراها بالدماء الزكية التي تجلت في سلاح التضحية والفداء، وقد تحقق كل ذلك وبأروع المواقف المشرفة . وهكذا بدأت طلائع الحق ممن لبي نداء المرجعية تتأهب للسير إلى ساحة المعركة وهي تعلن ولاعها التام وتفانيها في الدفاع عن العراق ومقدساته.

في هذا الإطار تتمحور التقييمات المنهجية لدى المرجعية الدينية بمقارنة الاهداف التي يتوقع ان تحققها عمليات الجهاد لتحقيق الرسالة التي من اجلها اصدرت الفتوى والاطلاع على خطط وأساليب القتال التي ستتبع في قواطع العمليات لاعداد جيل من المقاتلين يتملكون روح التسامح وسعة الافق ورجاحة التفكير ليسهموا في الوصول إلى الفكرة المطلوبة من فتوى المرجعية ومن ثم تطبيقها على أرض الواقع، ولمعرفة مدى كفايتها لتحقيق المحصلة المتوقعة من اجل بناء السلام والقضاء على الارهاب منها وتطبيقا

ويعد الاستنفار من مبادئ الحرب الاساسية والمهمة في المجال العسكري ، فمن خلاله تستطيع القيادة اعلان الحرب او عدمه ، ويعتمد هذا المبدأ على قدرة القيادة في

توجيه الراي العام وتحشيدده ، والاساليب التي تعتمدها في ذلك فقد استطاع السيد السيستاني (دام ظله) ان يجعل من هذه المنطلقات الفكرية وسيلة لاستنفار الراي العام الاسلامي ، من خلال تبين جملة من الاهداف التي تبناها في ذلك كالدفاع عن مصلحة الامة الإسلامية ، والدفاع عن القران الكريم ومبادئ الاسلام السمحاء والدفاع عن الحق .

وتناولت وسائل الإعلام المحلية والعالمية باهتمام كبير بيان المرجعية الدينية العليا المتمثلة بالمرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) وجاءت الدعوة إلى حمل السلاح في خطبة صلاة الجمعة التي ألقاها نيابة عنه ممثله الخاص الشيخ عبد المهدي الكربلائي بتاريخ ١٣/٦/٢٠١٤ فامتد صدى الفتوى الى جميع انحاء البلاد واندفع الناس بحماس كبير من اجل التطوع، قال سبحانه وتعالى: { فليقاتل في سبيل الله الذين يشنون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيماً(٣٤). وقال تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمتهم من قضى نحبهم ومن ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾(٣٥).

ولعل من يقف جليا امام اهداف تلك الجموع المجاهدة ويقطف من ثمارها على عظم بشاعة العدو فقد كانت تجلياتها واهدافها كثيرة جدا، فالاصرار على المسير هي لطلب الشهادة، ونشر العدل والقضاء على الارهاب، ومحاربة كل انواع الفساد، وسيادة المجتمع الاسلامي السليم. عملا بما قام به الحسين (عليه السلام) حين قال: "ألا واني لم اخرج أشرا ولا بطرا، ولا ظلما ولا مفسدا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أمر بالمعروف وانهي عن المنكر"(٣٦). فإن من أعظم نعم الله عز وجل على هذه الأمة أن أنزل إليها خير كتبه ، وأرسل إليها أفضل خلقه ، وجعلها خير أمة

أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذْ أَخْرَجْنَا آلَ فِرْعَوْنَ مِنْهَا وَبَدَّلْنَا لَهُمْ دِينَهُمْ أَنْ يُحِيطُوا بِأَرْسَالِنَا أَنْ لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُدْعَى إِلَى اللَّهِ خَيْرٌ أَوْ لِمَنْ يَدْعَى بِنَاءِ الْإِنْسَانِ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاطِنُ إِذْ يُدْعَى إِلَى اللَّهِ كَمَا يَدْعَى إِلَى اللَّهِ كَمَا تَدْعَى إِلَى اللَّهِ كَمَا تَدْعَى إِلَى اللَّهِ كَمَا تَدْعَى إِلَى اللَّهِ كَمَا تَدْعَى إِلَى اللَّهِ﴾ (٣٧) كما تكفل لها بحفظ دينها الذي ارتضاه لها، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ﴾ (٣٨) وكلفها حمل هذه الرسالة العالمية. وقد تأسى الرسول (ﷺ) بالقرآن الكريم في مناقشاته ومحاوراته مع أتباعه أو أعدائه، وإن أهله وأصحابه وأتباعه الأخيار قد نهجوا نهجه، واتبعوا طريقته امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٣٩).

والمرجع الديني (دام ظله) أحس بأن المجتمع بحاجة ماسة إلى غرس قيم ومتطلبات أخلاقيات بناء السلام والتعايش السلمي وفقاً لمناهج الشريعة الإسلامية للنهوض بالامة الإسلامية، وإشاعة قيم السلام والحوار والتسامح والمحبة والالفة بين أبناء المجتمع. قال رسول الله : " لا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدقت، وإذا حكمت عدلت، وإذا استرحمت رحمت ". فالإنسانية متساوية في الخطاب الدعوي الإسلامي، ولذلك نجد أن المرجعية الدينية دعت إلى تحقيق العدالة الاجتماعية بين الإنسانية وبالمساواة بين أجناس البشر، وبوحدة التشريع بالمساواة بين الخاضعين لأحكام الإسلام في الحقوق المدنية.

هذه الأهداف الإصلاحية الإنسانية، حددها المرجع الديني (دام ظله) في خطبه وأحاديثه قبيل المعركة وأثنائها لتكون حجة على الحاضرين والغائبين فإذا عرفنا هذا وما يحيط بالمرجعية الدينية من المخاطر لمواجهة الإرهاب وطغيانه ، ادركنا عظم هذه المهمة من جهة ، ومدى قوة إيمانها وعزمها من جهة أخرى ، فلما امرت المرجعية بالفتوى لم يكن ممن دعتهم إلا السمع والطاعة دون أي تردد أو خوف أو تساؤل ، ولم تهزم أو تضعف تلك الجموع الإرهابية التي اجتمعت بفعل اجندة

خارجية من كل حدب وصوب لتدمير العراق بلد الانبياء والحضارات. وقد استطاعت المرجعية الدينية ان تجعل من المنطلقات الفكرية للامام الحسين (عليه السلام) وسيلة لاستنفار الراي العام الاسلامي ، من خلال تبيان جملة من الاهداف التي تبنتها في ذلك كالدفاع عن مصلحة الامة الإسلامية ، والدفاع عن القران الكريم ومبادئ الاسلام السمحاء والدفاع عن الحق وعن المقدسات.

ولتحقيق ذلك تطلب القيام بعملية استنفار (حشد) للقوات ، وهذا ما يجعلنا أمام صورة واضحة عن الجهود المبذولة من قبل المرجعية الدينية على الرغم من الظروف السياسية والعسكرية الغير مستقرة التي شهدتها فترة اصدار الفتوى.

ان هذه المواقف التي عبرت عن حالة العزم والاقدام والثبات لدى الجميع تحمل الدلالات العظيمة وهي الايثار بالنفس في سبيل العقيدة، وقد عبرت عن هذا الايثار الاية القرآنية الكريمة: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٤٠). وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) "ن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد" (٤١).

ان هذه المواقف الشجاعة تعد تحديا للارهابيين ، واستخفافا بهم وبجبروتهم وطغيانهم. وان في هذه الدعوة للجهاد ما يوجز الحقيقة بتجليات واقعة الطف كما اثبت هذه المواقف زهدهم في الحياة وصدقهم واخلاصهم ومودتهم وشجاعتهم بل وسائر الصفات الحميدة التي يمثلونها.

ولم يثن المرجعية المرجعية عن مبادئها ومواقفها ومسؤوليتها مهما كلفها ذلك لقوله تعالى: ﴿ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ (٤٢) ، ومن هنا كان للسيد علي السيستاني (دام ظلّه الوارف) مجموعة من المنطلقات الفكرية الحضارية في فكره التي جاءت في بعدين رئيسيين هما : المنطلقات الشرعية ، والدفاع عن

مصلحة الأمة . هناك مجموعة من المنطلقات الشرعية التي كانت بمثابة القاعدة التي استطاع ان يثبت من خلالها مشروعية فتواه ودعوته للجهاد وهذه المنطلقات لها جوانب عديدة منها الدفاع عن الحق الذي يعد أحد اهم المنطلقات الفكرية الحضارية التي اعتمدها في دعوته للجهاد

ونحن على ارض الواقع في مدينة الموصل كدنا أن نفقد الأمل في التحرير وتخليصنا من تلك الجماعات الارهابية وكدنا أن نفقد العراق ونخسره الى الأبد، لولا فتوى المرجعية المؤمنة بالله تعالى وحب العراق وأهله ومقدساته ونخله ومائه وترابه وهوائه، والتي تتحرك في عروقها ودمها غيرة الدفاع عن كل ذلك ضد أعداء الدين والوطن والإنسانية.

فقد أدركت المرجعية الدينية الحكيمة أن الظرف واللحظة الزمانية للبلد تحتم الوقوف صفا واحدا للتصدي لمغول العصر، الذين كادوا أن يفتكوا بالبلد ويحققوا مأربهم لولا أن من الله تعالى علينا بنعمة الحشد الوطني والفتوى الوطنية للدفاع عن بلدنا من شر الأعداء الارهابيين.

لقد ظهر الحشد الشعبي وتكون في فترة وجيزة نتيجة لفتوى مقدسة من لدن المرجعية، ألهمت الجماهير وصعدت فيهم الهمة والغيرة والروح الوطنية للحفاظ على العراق بكافة طوائفه وقومياته وتشكلاته الدينية والسياسية والثقافية مضيفا "لقد حفظت الفتوى الوطنية للجهاد الكفائي البلد من الإنهيار والسقوط والدمار، وأنقذته والمنطقة من كارثة إنسانية لا مثيل لها، وحققت إنجازا لا يصدقه كثيرون، وأدت من النتائج ما لم تستطع الدولة بهيبتها والحكومة بمؤسساتها والأحزاب بقياداتها، فقد وقفت بوجه الإرهاب بعد أن شكلت الحشد الشعبي الوطني، السور الأمين والسد العظيم وصمام الأمان الذي حفظ البلد والدولة والحكومة والعملية السياسية برمتها، بعد أن فشلت الأحزاب وقياداتها والحكومة في الدفاع

عن البلد، لاسيما حين وصل الأمر الى إشترك أطراف من العملية السياسية وممن أتت بهم الديمقراطية الى الحكومة والبرلمان في التآمر على أبناء البلد ومحاولتهم الإطاحة بالعملية السياسية من أجل تحقيق مآربهم الشخصية والحزبية والطائفية الضيقة، ولكن كُشف أمرهم وبنات نواياهم وأفعالهم الإجرامية القذرة التي كادت أن تسقط البلد وأهله لولا أن تداركنا الله برحمته.

من هنا نرى إن الحشد الشعبي جاء كرد فعل على قوى ظلامية إندفعت مستخدمة العنف وسفك الدماء البشرية، لاسيما إنها لا تؤمن إلا بنفسها، ومن خالفها فمصيره الموت والفناء من الوجود، لذا فالحشد الشعبي جاء كمعدل عقائدي إنساني مهمته حفظ النوع والحفاظ على التنوع، لأنه جاء ليكون جزء من حل على المستوى الأمني وليس جزء من مشكلة ملبية بإيمان تام وإقبال كبير، نداء المرجعية في مواجهة خطر الارهاب القادم من وراء الحدود. وسيكتب التاريخ ان الفتوى قد ابهرت العالم اجمع بما حمله من لبي نداءها من عقيدة مخلصه فكانوا قوة ضاربة للدواعش الارهابيين وابوا الركوع الا لله تعالى فارخصوا في سبيله الارواح يتسابقون على بذل الدماء الغالية والنفيسة من اجل احقاق الحق، وهكذا كانت المواقف البطولية والمعطيات الحضارية لواقعة الطف ودورها في محاربة الارهاب.

﴿ وصايا المرجعية الدينية ودورها في محاربة الارهاب: ﴾

يظهر من التوصيات ان المرجعية الدينية ارادت ايصال منهج الاسلام القويم وهي نقيض الصورة التي رسمها الارهابيون وشوهوها بافعالهم الارهابية فكان جل اهتمام الرجعية حقن الدماء والحفاظ على الانفس ورعاية الحرمات والحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة والتي اشار اليها المرجع الديني السيد السيستاني (دام ظله

(في اكثر من موضع. فتورة الحسين (عليه السلام) وفتوى المرجعية الدينية لهما من الخصائص يكاد أن يجعلهما خالدين ابد الدهر

وقد قام المرجع الديني (دام ظله) ، كونه له دور في تأسيس الحشد الشعبي عن طريق فتواه بالجهاد الكفائي، بإصدار توجيهات دينية تنظم علاقة وتعامل الحشد الشعبي مع أهالي المناطق المحررة من تنظيم داعش بالعراق، وتتضمن التوجيهات ٢٠ توصية، تضمنت حث منتسبي الحشد الشعبي على التعامل بالأخلاق الإسلامية وعدم التعرض للناس أو أهالي المنتسبين لداعش (في المناطق المحررة) بأي أذى أو اضطهاد، وعدم إيذاء الكبار بالسن والأطفال والنساء وعدم قطع أي شجرة إلا أن يضطروا إلى قطعها وكذلك معاملة غير المسلمين معاملة حسنة وعدم المساس بهم وغير ذلك مما قاله في توجيهاته الأخرى.

واكد السيد السيستاني على ضرورة التوكل على الله سبحانه وتعالى ، والارتباط مع الباري في اوقات الحرب لما لها من اهمية في تقوية الروح المعنوية للقائد والجند ، وطلب النصر والعون من الله سبحانه وتعالى لانه الناصر والمؤيد وهذا ماتمخض عن السيد السيستاني من خلال وصاياه للمجاهدين إذ يوصيهم بقوله: (واستعينوا على انفسكم بكثرة ذكر الله سبحانه وتلاوة كتابه واذكروا لقاءكم به ومنقلبكم اليه، كما كان عليه امير المؤمنين علي عليه السلام وقد ورد أنه بلغ من محافظته على ورده انه يبسط له نطع بين الصفيين ليلة الهرير فيصلي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه وتمز على صماحيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته) (٤٣).

كذلك كان الامام الحسين (عليه السلام) في واقعة كربلاء يرفع يديه داعياً الله بقوله: (اللهم أنت ثقتي في كل كرب وأنت رجائي في كل شدة وأنت لي في كل

أمرنزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك، ففرجته عني وكشفته، فأنت ولي كل نعمته، وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة(٤٤).

ومن نصائحه (دام ظله) قوله: (وهذا وينبغي لمن قبلكم من الناس ممن يتترس بهم عدوكم ان يكونوا ناصحين لحمايتهم يقدرون تضحياتهم ويبعدون الاذى عنهم ولايثيرون الظنة بأنفسهم، فإن الله سبحانه لم يجعل لاحد على اخر حقا إلا وجعل لذاك عليه حقا مثله فلكل مثل ما عليه بالمعروف. واعلموا انكم لاتجدون انصح من بعضكم لبعض اذا تصافيتم واجتمعتم فيما بينكم بالمعروف حتى وإن اقتضى الصبح والتجاوز عن بعض الاخطاء بل الخطايا وان كانت جليلة(٤٥)

ومن الوصايا المهمة للمرجعية ((ولا يظنن احد ان في الجور علاجا لما لايتعالج بالعدل ، فان ذلك ينشأ عن ملاحظة بعض الوقائع بنظرة عاجلة اليها من غير انتباه الى عواقب الامور ونتائجها في المدى المتوسط والبعيد ، ولا اطلاع على سنن الحياة وتاريخ الامم ، حيث ينبه ذلك على عظيم ما يخلفه الظلم من شحن للنفوس ومشاعر العداة مما يهد المجتمع هذا ، وقد ورد في الاثر (ان من ضاق به العدل فان الظلم به اضيق) وفي احداث التاريخ المعاصر عبرة للمتمامل فيها ، حيث نهج بعض الحكام ظلم الناس تشبها لدعائم ملكهم ، واضطهدوا مئات الالاف من الناس ، فاتاهم الله سبحانه من لم يحتسبوا حتى كانهم ازالوا ملكهم بايديهم(٤٦)

فهذه الوصايا فيها من المعاني والمضامين والحكمة البالغة تصلح ان تكون منهجا عاما للمقاتلين في سوح الوعى، فالجور هو العدول عن الحق، ولايمكن ان يكون علاجا لأي امر فقد نهى الله تعالى عنه فالآيات القرآنية الكريمة كثيرة التي تنهى عن الجور والظلم لأن فيه اضطهاد وغبن للحقوق، ويشير المرجع الديني (دام ظله) بان

الظلم لا يخلف إلا الشحنة والبغضاء ومشاعر العداة ويستشهد بقول امير المؤمنين علي (عليه السلام) ((من ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق)) (٤٧) وأكد الخليفة امير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) على ضرورة التزام الوالي بالعدل وعد من اسس قيام الحكم الالتزام بتحقيق مبادئ الاسلام. وروي عن الرسول (ﷺ) انه قال : " ثلاث من كن فيه من الولاة ... اضطلع بأمانته وأمره ... إذا عدل في حكمه ولم يحتجب دون غيره .. وأقام كتاب الله في البعيد والقريب" (٤٨).

وهناك العديد من الوصايا المهمة للمرجعية الدينية والتي تؤكد على حقن الدماء، وعدم اراقتها، وصيانة الانفس وأداء الحقوق ورعاية الحرمات والحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة والسعي الى بناء المجتمع السليم والتعايش السلمي بين ابناءه، ولا يخفى عن احد ان نهج المرجعية هو نهج الرسول (صلى الله عليه وآله) واهل بيته الطاهرين . من وصايا السيستاني (فللهجد آداب عامة لا بد من مراعاتها حتى مع غير المسلمين ، وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوصي بها اصحابه قبل ان يبعثهم الى القتال ، فقد صح عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال (كان رسول الله ص اذا اراد ان يبعث بسرية دعاهم فاجلسهم بين يديه ثم يقول سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تغلوا ولا تمثلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا شيئا ولا صبيا ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجرا الا ان تضطروا اليها) (٤٩).

لقد أقر الاسلام قيودا شرعية على مبادئ القتال في الاسلام تعد بمثابة مبادئ اساسية ينبغي العمل بها في مختلف ظروف القتال. وكان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوصي المقاتلين عند توجههم للقتال بتقوى الله وطاعته ومحاسبة النفس (٥٠). ومن التوصيات الاخرى: "أن النبي قال اغزوا باسم الله وفي سبيل الله وقتلوا

من كفر بالله اغزوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً^(٥١). ويروي أنس بن مالك (رضي الله عنه) وصية أخرى للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً: "أن رسول الله قال انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين"^(٥٢).

ان من المهام الأساسية التي يناط بها القائد العسكري هو إعداد الجيش إعدادا كاملا، بحيث يكون على أهبة الاستعداد لمواجهة الأخطار المحيطة به. لذا نجد ان من واجبات الأمير كما جاء في نصوص رسائل الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى أحد قادته وامرائه: أمره بتقوى الله الذي لا بد من لقائه يوما ولا يقاتل إلا من بدأ بقتاله بعد الأعدار إليه ووضع الحجج عليه، وذلك في نص رسالته إلى معقل بن قيس الرياحي(*) عندما عينه قائدا لجيش أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقاتل: "اتق الله الذي لا بد من لقائه ولا منتهى لك دونه ولا تقاتلن إلا من قاتلك"^(٥٣) فهذه الاخلاقيات أوصى بها المرجع الديني (دام ظله) وحث على الالتزام بها لما فيها من المعاني والمضامين العالية من اجل تحقيق النصر على الأعداء. فقدرة الخطاب الحسيني للمرجعية الدينية على التأثير في فكر المخاطبين، والرقى بها نحو الأهداف المرغوبة.

وتكمن أهمية الوصايا خلال اسهامها في تنمية المعاملة الطيبة والقيم والاخلاق الحسنة، وتساعد المقاتلين المجاهدين على التكيف الاجتماعي بينهم ومن ثم المجتمع. فضلا عن ترسيخ المفاهيم الاسلامية الحضارية وتفعيلها واهمها مفهوم السلام، كما انها تعمل على تهيئة المقاتلين للتعايش في مجتمع متعدد المذاهب والافكار.

وفي هذا الصدد يوجه السيد السيستاني توصياته للمجاهدين وينصحهم بأن يدعوا العصبية الذميمة ويتمسكوا بمكارم الاخلاق ... وان لا تغلبهم الأفكار الضيقة والانانيات الشخصية (٥٤)، إن جميع مبادئ الأديان السماوية تؤكد على مكارم الأخلاق وعلى بناء الصرح الأخلاقي للمجتمعات الإنسانية، وقد وصل هذا الصرح إلى ذروته في الشموخ والتمام على يد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله : "بعثت لأتمم حسن الأخلاق" (٥٥)، وفي رواية أخرى "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (٥٦)، ونبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو القائل عن نفسه: "أنا سيد ولد آدم" (٥٧). ووصف الله تعالى رسوله بأنه ذو خلق عظيم كما جاء بقوله عز وجل : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٥٨)، فالإيمان والتدين لا يكمل إلا بالأخلاق . إذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا) (٥٩) ، فالأخلاق هي الترجمة العملية للاعتقاد والإيمان الصحيح إلى عمل سلوكي ظاهر، ولذلك نجد ان المرجعية الدينية تربط الأخلاق بتحقيق النصر ريبا قويا. وهذا ماتم ملاحظته على ارض الواقع فقد شاهدنا ما يتمتع به ابناء الحشد الشعبي والقوات المسلحة من اخلاق وصفات حميدة في تعاملهم مع ابناء المناطق المحررة والتي كانت سببا رئيسيا في تعاون ابناء تلك المناطق معهم من اجل محاربة الارهاب. وقد واصل المقاتلين من ابناء الحشد هذه المهمة لتترجم في الواقع في أعمال وممارسات وعلاقات ، ولهذا كانت القيم الأخلاقية هي المحور الأساسي في عملياتهم العسكرية وفي تحقيق النصر على داعش الارهابي.

الخاتمة والاستنتاجات:

إن المرجعية الدينية صاحبة الفتوى كانت تحرص اشد الحرص على انتزاع الحقوق بالوسائل السلمية والابتعاد عن العنف مادامت تلك الوسائل متاحة وتؤدي إلى الحفاظ على أرواح الناس.

وان ما يتمتع به السيد السيستاني من العلم والحلم والزهد والتقوى والورع، والأخلاق الحسنة والمكانة الاجتماعية وما أشبهه وتديبره للأمور من العوامل التي سببت حب الناس له وسرعة الاستجابة للفتوى.

من هنا تبين إن الحشد الشعبي جاء كرد فعل على قوى ظلامية إندفعت مستخدمة العنف وسفك الدماء البشرية، لاسيما إنها لا تؤمن إلا بنفسها، ومن خالفها فمصيره الموت والفناء من الوجود فجاءت مليية بإيمان تام وإقبال كبير نداء المرجعية من اجل مواجهة خطر الارهاب القادم من وراء الحدود. وقد حققت الفتوى اهدافها لإيقاف تنظيم ارهابي خارج عن السيطرة وذلك للحفاظ على وحدة العراق ودحر اعنى عدو للانسانية.

والامة الاسلامية اليوم باشد الحاجة الى الوحدة والتماسك، من اجل الوقوف امام كل المخاطر التي تستهدف البشرية جمعاء، لاسيما وانها تمر بظروف عصيبة توالى عليها المحن والنزاعات والتناحرات من كل حذب وصوب واتي فرضتها قوى الشر والتسلط والاستعلاء في الارض، فالسلام هو النبع الاصيل لاعادة تنظيم العلاقات بما يوفر امكانية حقيقية لمواجهة كل التحديات والصعوبات والله الموفق

- (١) سورة المائدة ، من الآية ٣٢ .
- (٢) سورة الاسراء، الآية ٣٣ .
- (٣) سورة المائدة ٣٣ .
- (٤) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة الاستقامة ١٩٧٣ .
- (٥) مركز الحوراء زينب ، من وصايا السيد السيستاني، في كتاب ومنهم من ينتظر الجزء الثاني .
- ٦ . نهج البلاغة ، ٩٧ .
- (٧) محمد بن أبي سهيل السرخسي : ، المبسوط، مطبعة السعادة (القاهرة : ١٣٢٤هـ) ، ٣١ .
- (٨) أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، حكم على أحاديثه : محمد ناصرالدين الألباني (الرياض : د.ت) مكتبة المعارف ، ط ١ ، ٤٧٣ .
- (٩) محمد بن اسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، مكتبة الصفا، (القاهرة: ٢٠٠٣) ، كتاب الجهاد والسير ، باب من قاتل لتكون كلمة الله العليا (٢٨١٠) .
- (١٠) محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، تحقيق احمد محمد شاكر واخرون دار احياء التراث العربي (بيروت: د.ت) كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله (١٦٣٩) .
- (١١) جمال الدين عبد الله الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق: عبد الله عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، ط ١ (الرياض: ١٤١٤هـ) ، ٣٤٦١ .
- (١٢) ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن ، باب حرمة دم المؤمن وماله (٣٩٣٢) .
- (١٣) سورة البقرة ، الآية ٢١٦ .
- (١٤) عبد الله ابن المبارك، الجهاد، تحقيق: نزيه حماد، الدار التونسية للنشر، (تونس : ١٩٧٢) ، ١٥ .
- (١٥) سورة الصف ، الآية ١٠-١٣ .
- (١٦) احمد بن الحسين البيهقي ، شعب الايمان، تحقيق محمد السعيد البسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٤١٠هـ) ، ٣٦٣١ .
- (١٧) سورة التوبة، الآية ١١١ .
- (١٨) الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، ط ١ ، ٥١٢ (الرياض : ٢٠٠٣) .
- (١٩) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .
- (٢٠) محمد يوسف الكاند هلوي ، حياة الصحابة تحقيق : عادل أنور خضر، دار الجيل ، (بيروت : ٢٠٠٥) ، ٣٠٠١ .

- (٢١) سورة التوبة: ١٢٢
- (٢٢) سورة التوبة: الآية ١٢٢.
- (٢٣) السرخسي: محمد بن أبي سهيل، المبسوط، مطبعة السعادة، (القاهرة: ١٣٢٤هـ)، ٣/١.
- (٢٤) سورة النساء، الآية ٧٥.
- (٢٥) سورة النساء، الآية ٧٤.
- (٢٦) سورة التوبة، ١١١.
- (٢٧) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى اديب، دار ابن كثير، (بيروت: ١٩٨٧) كتاب الجهاد والسير، ٢٩٥٧.
- (٢٨) محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الاسلامي، (بيروت: ١٩٨٥)، ١١٢٤/٢.
- (٢٩) سيد قطب، هذا الدين، دار القلم، (دم: ١٩٦١)، ١٠-١١؛ د. عبد الكريم زيدان، اصول الدعوة، ٢٧٣؛ محمد متولي الشعراوي، السيرة النبوية، مكتبة التراث الاسلامي، ط٢ (القاهرة: ٢٠٠١)، ص ٤٦٠-٤٦٢.
- (٣٠) مركز الحوراء زينب، ومنهم من ينتظر، ٩٩/٢.
- (٣١) سورة التوبة/ الآية ١٢٢.
- (٣٢) سورة الكهف، الآية ١٣.
- (٣٣) من خطبة الجمعة في الصحن الحسيني الشريف لسماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزه) بتاريخ ١٣ حزيران ٢٠١٤.
- (٣٤) سورة النساء، الآية، ٧٤.
- (٣٥) سورة الاحزاب، الآية، ٢٣.
- (٣٦) ابن أعثم، الفتوح، ٢٣/٥؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ٨٩/٤.
- (٣٧) سورة آل عمران من الآية ١١٠.
- (٣٨) سورة الحجر/ الآية ٩.
- (٣٩) سورة الاحزاب/ الآية ٢١.
- (٤٠) سورة البقرة، الآية ٢٠٧.
- (٤١) رواه أبو داود والترمذي وصححه سنن أبي داود.
- (٤٢) سورة المائدة/ ٥٤.
- (٤٣) مركز الحوراء زينب، ومنهم من ينتظر، ١٧٤/٢.
- (٤٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٢٢/٥، محمد بن محمد بن النعمان المفيد، الإرشاد، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط٢، (قم: ١٤١٦هـ)، ٩٦/٢.

- (٤٥) مركز الحوار زينب، ومنهم من ينتظر، ١٨٨/٢.
- (٤٦) مركز الحوار زينب، ومنهم من ينتظر، ١٤٠/٢.
- (٤٧) ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ٢٧٠/١.
- (٤٨) الجاحظ رسائل الجاحظ، ٣٠٠/٢.
- (٤٩) مركز الحوار زينب، ومنهم من ينتظر، ٥٣/٢.
- (٥٠) ينظر: ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه (مصر: د.ت)، ١٣٨/٥؛ محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، (الرياض: د:ت) مكتبة المعارف، ٨٥/٣.
- (٥١) سليمان بن الأشعث الأزدي أبو داؤود، سنن أبي داؤود، عمان، لبت الافكار الدولية، (الرياض: د.ت)، ٣٧/٣، ابو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، المصنف، تحقيق: محمد عوامت، دار القبلة، ط ١، (جدة: ٢٠٠٦)، ٤٧٥/٦؛ مسلم، صحيح مسلم، ١٣٥٧/٣؛ الطبراني، ابو القاسم سليمان بن احمد، المعجم الصغير، محمد شكور محمود، المكتب الاسلامي (بيروت: ١٩٨٠)، ٣١١/١؛ ابو عبد الله محمد بن احمد ابن عبد البر القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، تحقيق: هشام سليم البخاري، (بيروت: ١٩٩٥) ٣٣/٥.
- (٥٢) أبو داود، سنن أبي داؤود، ٣٧/٣؛ وينظر: أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، المصنف، ٤٧٥/٦؛ ابن داود، سلاح المؤمن في الدعاء، ٣٧١/١؛ أبو علي محمد بن أحمد ابن حزم، المحلى شرح المجلى، تحقيق: أحمد محمد شاكر (بيروت: ١٩٩٧) دار احياء التراث العربي، ط ١.
- (٢٩٧/٧؛ ابن عبد البر القرطبي، ٣٣/٥).
- (*) معقل بن قيس الرياحي: من بني يربوع، قائد من الشجعان، ادرك عصر النبوة، وكان من امراء الصفوف يوم الجمل توفي سنة ٤٣ هـ. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: ابي محمد ابراهيم، (القاهرة: ١٩٦٣)، ٢٠٩/٥.
- (٥٣) عز الدين عبد الحميد ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابي الفضل ابراهيم، (القاهرة: ١٩٥٩)، ٤، ٥٣٣؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣٧٩/٤-٣٨٠.
- (٥٤) ومنهم من ينتظر، ١٩٦/٢.
- (٥٥) مالك، الإمام مالك بن أنس، كتاب الموطأ، صححه ورقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: ٢، المكتبة الثقافية، (بيروت: ١٩٩٢ م)، كتاب حسن الخلق، ص ٩٠٤.
- (٥٦) ينظر الكاندهلوي؛ العلامة الشيخ محمد زكريا: أوجز المسالك لموطأ مالك، ط: ٣، دار الفكر، بيروت لبنان: ١٩٨٠ م، المجلد: ١٤، ص ١٣٢.
- (٥٧) القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٧٧)، ٣١٠/٢؛ الأصفهاني، أبي نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، دار الفكر، (بيروت: د.ت)، ٦٣/١؛ هاشم الحسيني البحراني التوبلي (القرن الحادي عشر)؛

- الإنصاف في النص على الأئمة الاثني عشر الأشراف، تحقيق: سلام الزبيدي ويوسف العلي ، مؤسسة ام القرى، لبنان، (بيروت : ٢٠٠٣) ٨٤ .
- (٥٨) سورة القلم، الآية ٤ .
- (٥٩) سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي أبي داود ، سنن أبي داود، إعداد : عزت عبيد الدعاس، عادل السيد، ط: ١، دار ابن حزم، (بيروت: ١٩٩٧م)، ج: ٥، ص ٤٢ .